فتحي الهويدي
رئيس مؤسسة الإذاعة
والتلفزة التونسية

إلى عناية السيد عبد الوهاب عبد الله

لقاء صحفي أجرته مجلة "الإذاعة والتلفزة"
مع السيدة حميدة نعنع حول كتاب "بن علي
العقل في زمن العاصفة". للإعلام
للعدد القادم من المجلة
(23-5-98)

16/05/98

لقاءات

بن علي العقل في زمن العاصفة

حميدة نعنع :

شاهدت فانبهرت فكتبت

نجاح تونس منارة تفاؤل كل مواطن عربي

أبهرني الرئيس بن علي بحسه الإنساني المرهف

السيدة ليلى بن علي مثال للمرأة العربية

الكاتبة والصحفية المعروفة — إعلامية

الحديث إلى السيدة حميدة نعنع يعني فيما يعني محاولة الإحاطة بتجربة صحفية وابداعية غاية في الثراء والتنوع. فهي تجرّ خلفها خبرة سنوات عديدة جعلتها تعايش وبشكل ميداني مختلف التجارب في الوطن العربي. وعندما يكون الرصيد بمثل هذا العمق والثقل فإن توقف صاحبته عند تجربة العهد الجديد في تونس وتقديمها للشعب العربي من خلال كتاب «بن علي العقل في زمن العاصفة» كنموذج غاية في الرقي والتحضرّ يجعلنا على يقين أنّنا لسنا فقط أمام شهادة صادقة وعفوية عن نجاح سياسة الرئيس بن علي الحكيمة بل وأيضا وثيقة أكاديمية جاءت كنتيجة لمعايشة الصحفية حميدة نعنع للتجربة التونسية التي انطلقت وتتواصل بنجاح منذ انبلاج فجر السابع من نوفمبر ... وهي التي عرفت وكتبت عماّ آل إليه الوضع في تونس قبل التغيير عن الكتاب الحدث «بن علي العقل في زمن العاصفة» وعن جوانب أخرى من نشاطها الإبداعي جلسنا إلى السيدة حميدة نعنع بمناسبة زيارتها الأخيرة لبلادنا فكان الحوار التالي :

*** لماذا هذا الكتاب ومتى ولدت هذه الفكرة وما هي المراجع التي وقع اعتمادها؟**

ـ فكرة الكتاب ولدت منذ سنتين تقريبا عندما كنت أعدّ ملفا عن تونس التغيير واستقرّ في ذهني أنّ التجربة التونسية التي امتازت أولا بأسلوب التغيير الذي تم وثانيا بالإنجازات التي حصلت بعد التغيير هذه التجربة تستوجب أن يكون هناك كتاب يتحدّث عنها ويكون في متناول القارىء العربي العادي ويشرح له مكوّنات تجربة عربية ناجحة ومضيئة ونموذجية... فالقارىء العربي تعوّد على أن أي تغيير يحصل لا بدّ وأن يكون بشكل مأساوي وعنيف ولكن التغيير في تونس حصل بشكل سلمي ودستوري وبنفس الوقت تمت المصالحة السياسية والإجتماعية في البلاد وكل هذا وفق الأنظمة الدستورية ووفق رؤية عقلانية جدّا من الرّئيس زين العابدين بن علي.

حينئذ... أحسست ككاتبة عربية أنه من واجبي أن أقدّم هذه التجربة الرّائدة للقارىء العربي... بعد هذا أتيح أثناء إعدادي لملف خاص عن ذكرى السابع من نوفمبر التقى عددا من الشخصيات الثقافية والفكرية والتاريخية وجمعت بالتالي مادة كتابي الذي سيلاقي صدى في المشرق العربي وفي تونس لأني وضعت يدي في هذا الكتاب على جوانب كبيرة من تجربة التحول وهي جوانب لا أعتقد أن أحدا وضع عليها يده بعد...

*** سيدة حميدة لو كان لك أن تضيفي شيئا للكتاب الآن... خصوصا بعد لقائك سيادة الرئيس... ماذا تضيفين؟**

ـ سأضيف تفاصيل أكثر عن حياة الرئيس بن علي بعد أن التقيته، فما كتبته في كتابي تمّ وأنا على عدم معرفة شخصية بالرئيس بن علي وعندما استقبلني اكتشفت أن هذا القائد العربي متواضع وإنساني بشكل ملفت للنظر ومتفهم للعصر الذي يعيش فيه ويبقى أهم ما لفت نظري تواضعه الشخصي وحرارته الإنسانية أثناء اللقاء... لهذا كنت أتمنّى أن ألقي الضوء أكثر فأكثر على حياة الرئيس بن علي وأتمنّى إذا أتيح لي أن أكتب كتابا آخر أن أفعل ذلك...

*** في نفس الإطار هل كان لك لقاء بالسيدة ليلى بن علي لزيد الإحاطة بجوانب من شخصية الرئيس بن علي المواطن ـ الإنسان الزوج والأب؟**

ـ التقيت السيدة ليلى بن علي وهي سيدة رائعة ومتواضعة وهي تمثل الروح التونسية الأصيلة كما أنها بذكائها وثقافتها فخر للمرأة العربية. وقد لاحظت أنها ومن خلال موقعها كزوجة للرئيس زين العابدين بن علي مهتمة بكل النشاطات الإجتماعية والإنسانية وعلى دراية تامّة بها... وأعتقد أن معرفتي بالسيدة ليلى بن علي قد أضاءت لي جوانب كثيرة من شخصية الرئيس بن علي الجانب الإنساني النبيل... جانب الزوج والأب والإنسان هواياته تصرفاته في بيته وهي الجوانب التي غابت عني في كتابي الأول بسبب طبيعة الكتاب الذي كان نظريا وأعتقد أن الزعماء من طراز الرئيس زين العابدين بن علي ليسوا ملكا لأنفسهم بل ان تجاربهم الشخصية هي ملك للشعب ولنا كعرب عامة لأن رجلا يقود تجربة ناجحة في بلد عربي من هذا النوع ويمثل هذه الأناقة والتحضرّ يجب أن يطلع القارىء العربي على حياته.

*** من الأبعاد الاساسية لكتابك أنه سيعرّف المشرق بتجربة فريدة من نوعها... فهل تعتقدين أن هناك نوعا من التجاهل من قبل المشرق لعمق واهمية الجناح الغربي للعالم العربي فكرا وثقافة...؟**

ـ هناك انقطاع في المعرفة ما بين المشرق العربي والمغرب العربي وأنا أعتقد أن المغرب العربي يعرف عن تجارب المشرق العربي أكثر ممّا يعرف المشرق العربي عن تجارب المغرب العربي وهذا يرجع لأسباب تاريخية ولكن أيضا لانشغال المشرق بقضية مركزية تؤرقه وهي القضية الفلسطينية ولكنّي أعتقد أنه وبعد حرب الخليج حصل نوع من الكشف لما يحصل في المغرب العربي بمعنى أن الشارع المشرقي اكتشف عمق عروبة الشارع المغاربي أثناء الأزمة التي مررنا بها وكانت نتائجها مأساوية على كامل الوطن العربي وبكل المقاييس... ولكن أنا أعتقد أنّ التجربة التونسية تصلح لأن تكون نموذجا للمواطن العربي الذي اكتشف أنه من الممكن في نهاية القرن العشرين وعلى مشارف القرن 21 أن يقوم قائد عربي بالانجازات وتحقيق مصالحة وطنية بدون اللجوء إلى العنف وبدون اللجوء إلى السجون وبدون اللجوء إلى تعليق الدستور وبدون اللجوء إلى الطوارىء ـ وهذا صراحة ليس موجودا إلا في تونس رغم أنهّا موجودة في وضع إقليمي صعب جدا فهي مجاورة لبلد عربي تحت حصار قاس وغير عادل وإلى جانب بلد عربي يعيش ظروفا داخلية صعبة... في هذا الوسط تحقق تونس شبه معجزة وذلك بمحافظتها على أمنها واستقرارها وتطور مستوى تنميتها وعلى علاقة متميزة بجيرانها.

*** إذا استثنينا التجربة التونسية الناجحة هناك من يقول بأن الثقافة العربية عاجزة عن استيعاب الديمقراطية لمفهومها المتعارف في الغرب لأن القضية قضية ثقافية بالاساس؟**

ـ هذا غير صحيح فليس ضروريا أن نطبق الديمقراطية بمفهومها الغربي لأنها نشأت في ظروف مختلفة. فالغرب أنجز الثورة الصناعية والوضع الطبقي هناك وكذلك المجتمع المدني واضحان وملامحها محدّدة منذ قرنين على الأقل أما في العالم العربي فالأمور تختلف فالديمقراطية لا تعني فقط حرية التعبير وإنما أيضا أن تؤمن للمواطن حاجياته الحياتية كالتعليم والصحّة والأمن والاستقرار وكل مجتمع مطالب بأن يوجد منواله الديمقراطي الذي يتلاءم وخصوصياته وأعتقد أن تونس سائرة بثبات في هذا الإتجاه باقرار للمصالحة الوطنية ومعالجتها مع هويتها العربية الاسلامية وسط قانون الأحزاب والميثاق الوطني وإيجاد هامش للمعارضة لدخول البرلمان والبلديات وأعتقد جازمة أن العشرية القادمة ستشهد انجاز تونس لكل تطلعاتها نحو مجتمع حرّ وديمقراطي....

أضف إلى كل هذا أنه إذا كانت حرية التعبير هي عنوان الديمقراطية فإني وأثناء وجودي بتونس أشاهد جميع المحطات التلفزية العالمية بل ليس هناك بيت في تونس ليس فيه دش (بارابول) وعندما أتجوّل في شارع الحبيب بورقيبة أشاهد ألاف العناوين للصحافة العربية والأجنبية تماما كما الشأن في باريس ويكفي أيضا أن تزور المكتبات التونسية لتجدها زاخرة بالكتب العربية والفرنسية والانقليزية ثم أن تونس بلد مفتوح بمعنى أنه يستقبل سنويا قرابة الأربعة ملايين سائح من جنسيات مختلفة هؤلاء يأتون محملين بعاداتهم وأفكارهم... كل هذا يجعلني أتمنّى أن تقتدي الأنظمة العربية بالنظام التونسي.

*** حميدة نعنع ثلاثون سنة من العمل الصحفي تجربة طويلة وترحال بين المطارات... ما هي المحطات التي أثرت على نظرتك للحياة؟**

ـ كل محطة تضيف لي شيئا جديدا... أنا تفرّغت للعمل الصحفي منذ 1978 عن وعي سياسي مسبق فأنا إمرأة لها علاقة بالمقاومة الفلسطينية منذ سنة 1968 أرى العالم العربي بمنظار الصحفي السياسي الملتزم بقضايا هذه الأمة زرت كل البلدان العربية ووجدت لكل بلد ظروفه الخاصّة وآلمني أن بعض البلدان العربية لا تستطيع اقتحام العصر بفعل عوائق كثيرة اجتماعية وثقافية تمنع من التواصل الإيجابي مع معطيات العصر ومعطيات العولمة... عشت حروبا أهلية في لبنان والأردن واليمن وكتبت كتابا عن سقوط التجربة الماركسية إثر الحرب الأهلية وكل تجربة من هذه التجارب دفعتني للتفكير كمواطنة عربية عن مستقبل العالم العربي ومن بعد كل هذه التجارب توقفت طويلا عند التجربة التونسية وهذا ما دفعني إلى كتابة كتابي عن هذه التجربة لأقدّمها نموذجا للقارىء العربي...

*** حميدة نعنع ـ صحفية أديبة شاعرة.. أمازال هناك مكان للشعر في عالمنا اليوم؟**

ـ هناك مكان للشعر ولكن ليس لديّ أنا رغم بدايتي المبكرة والتي أصدرت فيها ببيروت ديواني الأوّل «نشيد امرأة لا تعرف الفرح» وكتب مقدّمته محمد الماغوط الذي راهن علي لأكون شاعرة قصيدة النثر بامتياز ولكن رحيلي عن سوريا إلى باريس وتفرغي الكامل للصحافة التي لا تقبل معها ضرّة وخاصّة الشعر الذي يتطلّب التفرّغ التام يجعل قولة رامبو «هجرت الشعر فهجرني» تنطبق علي... فأنا لم أعد أعيش حياة توحي بالشعر... أنا أعيش في أوروبا حياة مكثفة ومعقدة وتتطلّب منّي خمس عشرة ساعة عمل وبهذا لم أعد أجد مجالا للاختلاء بنفسي لكتابة القصيدة فتركت للآخرين أن يفعلوا ذلك مكاني...

*** عودة إلى الهموم العربية ألا ترين أن العرب سيظلون داخل دائرة الخلل الحضاري طالما لم يحلوا قضيتي المرأة والدين؟**

ـ الدين لا يمنع من التواصل مع الحضارة إذا فهم فهما صحيحا، فنحن صنعنا بالدّين أهمّ الحضارات من بغداد إلى الأندلس فحضارتنا كانت متطوّرة عندما كان التفكير العقلاني هو الذي يقودنا ولكن عندما دخلنا ظلام الخرافات تحوّل الدين بالشكل الذي يطرح به إلى عائق في وجه التطوّر الحضاري. ولهذا فالمطلوب عودة جديدة إلى الدين وخصوصا للفترات المشرقة في تراثنا الفكري وهي عديدة...

قضية المرأة لا تزال معقّدة جدّا لأسباب ثقافية واجتماعية وتاريخية فوضع المرأة في البلاد العربية لا يسرّ القلب وخاصّة في البلدان التي طغت عليها الثروة والتي أصبحت بدورها عبئا يعرقل تطوّر المرأة في بعض البلدان العربية الأخرى تحصلت المرأة على بعض الحقوق ولكن لا تزال التقاليد تفرض نفسها وتمنع المرأة من ممارسة حقها الطبيعي كإنسان وأعتقد أن هذا يتطلب بعض الوقت فتونس ومن حسن حظها تنبهت لهذا الموضوع بعد الاستقلال فأعطت المرأة حقوقها وبعد ذلك تكرست هذه الحقوق اثر التغيير وهي تتكرّس سنة بعد سنة...

*** وأنت تتجولين بالرومونت كنترول بين هذا العدد الهائل من القنوات الفضائية العربية هل تعتقدين أنها تقوم بدورها في توعية المواطن العربي ورسم ملامح مستقبل عربي أفضل أم أنّها بصدد اجترار وتكريس مفاهيم قديمة ومتآكلة؟**

ـ هناك ازدواجية في لغة بعض الفضائيات العربية... وهي تتحدث عن كل القضايا وتستثني أي إشارة إلى المحيط الذي تبث منه...

*** تشاهدين برامج القناة الفضائية التونسية؟**

ـ نعم وأتابع باهتمام بعض البرامج وتحديدا برنامج «مدارات» الذي أتابعه بشكل جيّد وأنتم التوانسة من حسن حظكم متواضعون أي أنّكم لا تصدّرون الخطابات للآخرين...

*** على ذكر الثقافة والفكر... حرص الرئيس زين العابدين بن علي منذ توليه السلطة على أن يثقف السياسة ولا يسيّس الثقافة وانتقل ببلادنا من ثقافة الدولة إلى دولة الثقافة...**

ـ أعتقد أن تونس تشهد حركية ثقافية وفكرية تجعلها رائدة على المستوى العربي ففي تونس يلتئم عدد كبير من الندوات والملتقيات والمؤتمرات وأعترف صراحة أن هذا النشاط الثقافي والفكري خال من أيّ محاولة تسييس فأثناء تواجدي بتونس لحضور فعاليات ملتقى المبدعات العربيات بسوسة لم نلمس أي محاولة لتسييس الملتقى ولم يحدثنا أي كان عن النظام التونسي ولا عن إنجازاته بل تركت لنا حرية تقييم التجربة بعد الوقوف على مميزاتها وهذا أمر إيجابي لم نألفه في سائر الدول العربية وهو ما يجعلني أقول بأن التجربة التونسية مظلومة بعض الشيء من حيث إشعاعها العربي.

*** في هذا الوضع العربي الراهن المتسع بالضبابية هل أنت متفائلة؟**

ـ طبعا متفائلة... وكيف لا أكون متفائلة وأنا أنتمي لشعب يعدّ مائتي مليون نسمة وهم مائتي مليون كفاءة... طبعا أنا متفائلة رغم صعوبات الوضع الرّاهن وتعثر عملية السلام..

*** حميدة نعنع عرفنا الكثير عن تجربتك الصحفية الثرية ونريد أن نعرف ولو القليل عن تجربتك الروائية؟**

ـ فعلا أنا روائية وكاتبة سياسيةسبق وأصدرت روايتين الأولى وهي «الوطن في العينين» والتي تحوّلت إلى مادة للدراسات الأكاديمية في تونس والجزائر والمغرب ولاقت رواجا كبيرا والرواية الثانية «من يجلس على شوك» ولاقت نفس الإهتمام ولدي كتاب «دفاتر إمرأة» وأيضا كتاب «حوارات مع مفكري الغرب» وهو الكتاب الذي أجريت فيه عددا كبيرا من الحوارات مع مفكري الغرب كسارتر وسيمون دي بوفوار وميشال فوكو وقد صدر في بغداد قبل الحرب بقليل...

والآن أنا بصدد الاشتغال على كتاب عن الأندلس وزيارتي لتونس استغلها لزيارة المناطق الأندلسية مثل تستور وزغوان وقلعة الأندلس.

*** حسك الروائي لمسناه من خلال تناولك لقضايا جادة وحيوية عن تونس التغيير في كتاب «بن علي العقل في زمن العاصفة»؟**

ـ في الحقيقة أنا لم أختر أسلوب الكتابة فقد وجدت نفسي أمام مادّة هائلة من المعطيات والمعلومات عن التنمية في تونس ولكن اخترت اعتماد خطابات الرئيس زين العابدين بن علي على مادّة رئيسيّة لأن كل خطاب هو مشروع متكامل وخطاباته بعيدة عن الخطابات الشرقية المليئة بالخطابة... خطابات بن علي مشاريع وميزتها أنها مشاريع تجد طريقها للتنفيذ وهو بهذا يختلف عن الزعماء العرب الاخرين لأنه يفعل ما يقول...

*** وفاة نزار... كيف تقبلتها؟**

ـ نزار شاعر القبيلة يمدح القبيلة ويهجو القبيلة كانت له قضية أساسية هي قضية المرأة أنا لست نزارية رغم أن علاقة قوية تجمعني بابنته هدباء ولكن وفاته آلمتني جدّا ولكنّ مآلمني أكثر هو أن شعراءنا يموتون في الخارج ويعودون في توابيت لا تليق بمجدهم... مات نزار وعاد في تابوت لا يليق بمجده ومن قبله مات عمر أبو ريشة وعاد في تابوت لا يليق بمجده ولكني واثقة أن جثمانه لما وصل إلى دمشق كان البحتري والمتنبّي وبقية فطاحل الشعر في استقباله بل إنّ البحتري سارع بفرش عباءته عليه لأن نزار من نسيج البحتري واستمرار له.

*** أجرى الحوار : جمال كرماوي ولطفي العماري**